

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشاركة في الملتقى الوطني بعنوان:

التصوم اللغوي

بجامعة محمد بوضياف-المسيلة بالاشتراك مع المجلس الأعلى للغة العربية – الجزائر.

يوم: 01-12-2021،

بمداخلة عنوانها:

دور المساجد في التصوم اللغوي

The Role Of Mosques In Linguistic Volunteering

و.اليزير بلعش.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-تسنطينة (الجزائر)

el-yazid@hotmail.com

البريد المهني: y.belameche@univ-emir.dz

ملخص

تحتاج أي لغة من أهلها إلى تضحية وجهد للمحافظة عليها وبعثها جديدة في السنة الأجيال، وهذا العمل لا يكون إلا ارتبط بالمقومات العقديّة والروحية للفرد في مجتمعه، ولقد كان للغة العربية من هذه العناية والاهتمام ما أهلها لأن تبقى صامدة عبر فترات زمنية غير يسيرة، وفي مواقع جغرافية واسعة، فقد ارتبطت بأهم مقوم من مقومات بناء المجتمع هو الدين، وهذا وحده غير كاف، فلا بد -كما أشرت- من العمل الجاد والتضحية المخلصة، وقد سار أسلافنا على هذا في نشر اللغة العربية وتعليمها للناس، واستغلوا في ذلك اجتماع الناس في المسجد. ومن هنا فإن هذا المقال يسعى إلى إبراز دور المساجد وأهميتها في العمل التطوعي اللغوي.

SUMMARY

Any language from its people needs sacrifice and effort to preserve it and resurrect it in the tongues of generations, and this work can only be linked to the doctrinal and spiritual components of the individual in his society, and the Arabic language has had such care and attention that qualified it to remain steadfast through not easy periods of time, and in locations A wide geography, it has been linked to the most important component of the building blocks of society is religion, and this alone is not enough, as I have indicated - hard work and sincere sacrifice, and our ancestors proceeded on

this in spreading the Arabic language and teaching it to people, and they took advantage of the gathering of people in the mosque.

Hence, this article seeks to highlight the role and importance of mosques in linguistic volunteer work.

1- تمهيد:

إن من نعم الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية هذه اللغة المتماسكة والمتناسقة التي بها تتواصل مع دينها وبها تتواصل فيما بينها، ثم أردفها بنعمة أخرى هي حفظها، فقد كفاها المشقة التي تلقاها الأمم الأخرى في تواصلها مع ماضيها، بله مع حاضرها القريب، بفعل التطور اللغوي المستمر لتلك اللغات، في حين أن اللغة العربية تتمتع بتطور في ثبات، فهي مؤهلة بمادتها وبسعة أساليبها ووضوح تراكيبيها إلى استيعاب الجديد ومواكبة لعصر، كما أنها في الآن نفسه لها من الصلابة الهيكلية والبنوية ما يجعلها صامدة ثابتة أمام كدمات الزمن وتعاقب الأيام.

ومعلوم أن اللغة هي من أهم مقومات بناء الحضارة وتأسيس الأمة القوية، وبهذا تكون الأمة الإسلامية قد اكتسبت مقوما نال من الرعاية والمتابعة والدراسة ما لم يكن لمقوم آخر، أو للغة أخرى من اللغات البشرية، فقد اجتهد علماءنا القدماء اجتهادا منقطع النظير والمثيل، فحققوا بذلك أثرا دراسيا نظريا وتطبيقيا؛ له من الأسس العلمية والمنهجية ما أهله ليكون نظرية لغوية رائدة. ومن هذا الباب وجب على أهل هذا الجيل أن يحافظوا على هذا المقوم الذي يحفظ لهم ذاتيتهم ووجودهم، أن يحافظوا على هذا الإرث حتى يكون لهم عوناً على المشي به قدما نحو الارتقاء والتطور، هذا لا يكون إلا بالبذل والعطاء الذي لا يرجو الفرد منه غاية سوى المضي قدما بهذه اللغة والمحافظة عليها وعلى إرثها الشامخ.

لقد سخر القدماء عددا من الوسائل للوصول إلى ما وصلوا إليه في الدراسة اللغوية وفي تعليم اللغة، وعلينا نحن أن نذل كما بذلوا وأن نقدم كما قدموا، من أبرز الوسائل التي أسهمت بصورة كبيرة في تعلم اللغة العربية وتعليمها: الحلق المسجدي، فكان عندهم المسجد هو المكان الذي تشع منه أنوار الدراسة اللغوية. فكيف يمكن لنا أن نستعيد ذلك الدور التطوعي للمسجد في زمننا هذا؟

2 - لمحة تاريخية عن الحلق المسجدي:

إن المتتبع للسيرة النبوية في مراحل الأولى من لحظات وصول نبي البشائر ﷺ إلى المدينة المنورة، ليفت نظره عنايته ﷺ الفائقة ببناء المساجد، فإنه صلى الله عليه وسلم بمجرد وصوله إلى مشارف المدينة، أخذه ﷺ لاستراحة قليلة في ديار بني سعد فإذا به يباشر بناء مسجد قباء، وما إن وصل إلى المدينة حتى باشر بناء المسجد قبل بناء مسكنه. كل هذا لأهمية المسجد في بناء المجتمع، وكذلك كان الأمر في عهد النبي ﷺ من بعد، فقد كان المسجد هو الذي يمثل المختلف المراكز التي تمثل الدولة اليوم، فقد كان محكمة، ومدرسة للتعليم، ومركزاً للتشاور، وقاعة لاستقبال السائلين والمستفتين، هذا فضلاً عن أنه ملجأً للمسافرين والمهمومين، وحصن للخائفين، ملتمى للإخوان والمتحابين، بل ملتمى المسلمين جميعاً يتفقون فيه أحوال بعضهم بعضاً، هذا بالإضافة إلى بعض الوظائف الأخرى التي كانت في عهده صلى الله عليه وسلم؛ من ترميض لبعض الجرحى في حال الحرب، من حبس الغريم إلى السارية حتى يأمر به السجن أو يؤدي الحق الذي عليه، ومن اعتكاف وما يتبعه من أكل أو نوم فيه⁽¹⁾، ... فكان المسجد عندهم هو منبع الحياة ومنطلقها التي تنطلق منه، يقول ابن تيمية: "كانت المساجد مجامع الأمة ومواضع الأئمة. وقد أسس صلى الله عليه وسلم مسجده المبارك على التقوى، فكانت فيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون كلما حزبهام أمر من أمر دينهم ودنياهم"⁽²⁾ ... بقي على هذه الحالة بعد مجيء عصر أبي بكر الصديق ﷺ الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين، لكن بعد مجيء عصر عمر بن الخطاب ﷺ توسّعت الدولة الإسلامية وكثُر عدد المنتسبين إليها، فاحتاجت إلى شيء من التوسيع الداخلي، فاستقل الحكم بيته وصار للخليفة مجلساً يقصد فيه، كما أنه صار للقضاء مجلساً خاصاً يجلس فيه القاضي لسماع أقضية الناس، فبدأ المسجد يتحلل من بعض الوظائف التي أنيطت به على عهد رسول الله ﷺ، وهكذا استمر الوضع حتى جاء عصر بني أمية وقد تفرغ المسجد من كثير من هذه الوظائف، ليصبح مكاناً للعبادة والتضرع

(1) ينظر في كتاب: صالح بن ناصر بن صالح الخزيم (المتوفى: 1418هـ)، وظيفة المسجد في المجتمع، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ. فقد ذكر الأدلة التي تؤكد حصول كل هذه الأمور في عهد النبي ﷺ من كتب صحاح السنة النبوية.

(2) أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحنابلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الفتاوى الكبرى، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م (ج5، ص118)

والإبتهاال والدعاء، ورغم من تحلله من الوظائف الأخرى، ألا أن هناك أمر مهم للغاية ما زال عالقا بالمسجد، والمسجد عالقا به، ولم يخل منه المسجد يوما، إنها الحلقات المسجدية، فمن عهد رسول الله وهي مستمرة إلى يوم الناس هذا، وأنت إذا قرأت في كتب السير والتراجم هالك ما تسمع عن دور المسجد في تكوين الأعلام والجهابذة وغيرهم ممن قادوا الأمة حتى في الزمن الذي ظهرت فيه هذه المدارس والجامعات والمكتبات العامة، ويكفيك هنا دليلا أن النهضة العلمية العربية إنما بدأت من ثلاثة مساجد وما زال عطاؤها مستمرا، وهي الأزهر الشريف بمصر، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمملكة المغربية، فقد كانت منارات علمية أحييت الأمة الإسلامية والعربية بعد ما عمل فيها الاستعمار عمله.

فالعطاء العلمي والتعليمي المسجدي ما زال مستمرا، بل والملموس اليوم أن قوة عطاء المدارس النظامية وغيرها مرهون بقوة النشاط العلمي في المسجد في حلقاته التي يقيمها، "وقد ظل المسجد على امتداد تاريخ المسلمين مؤسسة تعليمية للصغار والكبار، وأول الأمكنة التي تحقق الأهداف العملية لتربية الناس بعامة والناشئة والشباب بخاصة" (3)، فالعلم والمسجد صنوان لم يفترقا منذ نشأة المساجد.

3 - العلوم المدرّسة في الحلق المسجدية وأثرها في تعليم اللغة العربية:

تنوعت العلوم التي دُرست في المسجد قديما، تراجعت في العصر الحديث، بل ففي العصر القديم كان للمسجد الدور الرئيس والأساس والفعال في ذلك، ولهذا كانت كل الفنون تدرس في المسجد، وهو من يضطلع بهذا الدور، وكيف لا يكون كذلك "وهو أول المؤسسات التي انطلق منها شعاع العلم والمعرفة في الإسلام، وهو يحمل خاصية أساسية بالنسبة للمجتمع المسلم، وهو مصدر الانطلاقة الأولى لدعوة الإسلام ونبع الهداية الربانية" (4)، حينما قال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الحجر: ٩٤، "فمن المسجد الحرام انطلقت دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تهز أرجاء مكة بقوه ألقاها وسلاسة معانيها، وقوة نفوذها في الأعماق،

(3) صالح بن غانم بن عبد الله بن سليمان بن علي السدلان، الأثر التربوي للمسجد، الكتاب منشور على

موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات (ص7)

(4) المرجع نفسه (ص نفسها)

تعرب عن صدق وإخلاص وأمانة، وتتبع من جنان عامر بالنور" (5)، وذلك عندما صعد النبي ﷺ فوق الصفا مبشراً منذراً، فمنذ ذلك الحين والنور يعم الأرض نقطة بداية انعكاسه من المسجد. التف الصحابة ﷺ حول النبي ﷺ يتعلمون منه القرآن والأحكام الفقهية، يسألون وهو يجيب، أو يستمعون حديثه ﷺ ، وهذا استجابة لحضه ﷺ لهم فقد قال ﷺ: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" (6)، وما زال ذلك دأبهم وحالهم، حتى خلفوه في مكانه بعد انتقاله للرفيق الأعلى، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: خرج معاوية - رضي الله عنه - على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إنني لم أستخلفكم تهمَةً لكم، وما كان أحد بمنزلي من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقل عنه حديثاً مني، وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج على حلقة من أصحابه فقال: ((ما أجلسكم؟)) قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا، قال: ((الله ما أجلسكم إلا ذاك؟)) قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: ((أما إنني لم أستخلفكم تهمَةً لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله - عز وجل - يباهي بكم الملائكة" (7). والأحاديث في هذا الباب كثيرة، فكان منهم من يعلم القرآن كأبي ﷺ، ومنهم من اشتغل بتدريس الفقه، كمعاذ بن جبل ﷺ، ومنهم من تفرغ لتفسير القرآن وتعليم علومه كابن عباس رضي الله عنهما. وقصته مع نافع بن الأزرق مشهورة، فقد كان هذا في فناء الكعبة، بل وفيهم من عرف بالتعليم في المسجد والتفرغ لذلك، كعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة الدوسي، وأبو الدرداء عويمر بن زيد، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، رضي الله عنهم... وغيرهم، وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قد بعث أبا الدرداء إلى الشام لتعليم أهلها فاستقر بدمشق وعمر مسجدها بالتعليم.

وكان الناس يخلقون حول تميما الداري بالمئين إذا انفلت من صلاة ليقراءهم القرآن. فرسخوا هذا المنهج في الأجيال التي جاءت من بعدهم.

(5) صالح بن ناصر بن صالح الخزيم (المتوفى: 1418هـ)، وظيفة المسجد في المجتمع، (ص12).

(6) حديث في صحيح مسلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم (2699).

(7) صحيح مسلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم (2701).

فكان المسجد على إثرها مصدرا للعلوم الشرعية، منارة علمية لجميع العلوم ومختلف الفنون: تفسير القرآن وعلومه، والفقه وأصوله، والحديث وروايته وعلومه، هذا بالإضافة إلى الفنون الأخرى التي تحتاج لتدريس هذه العلوم وفهماها. ومن أبرز ذلك العلوم العربية.

فبالإضافة إلى أن العناية بالعلوم الشرعية فيها خدمة للغة العربية، من جهة أنها حافظت على هذا اللسان من الضياع أو التبديل أو التحريف، وبتعاطي المسلم لهذه العلوم الشرعية يجد نفسه قد اكتسب دربة قوية على التعامل مع اللغة حية في استعمالها، بل وتُهيئ الأسباب الحاملة لتعلم هذه اللغة، فيدفع إليها دفعا.

قلت بالإضافة إلى هذا، فإن الحلقات المسجدية كان لها النصيب الأوفر من العلوم العربية، حتى إنه يمكن القول في اطمئنان إنه لا يمكن الإحاطة بها. بل وحتى إنها زاحمت حلقات المواد الشرعية مزاحة شديدة، حتى كانت مصدر إزعاج للفقهاء والمحدثين، فهذا محمد بن سيرين كان يبغض النحويين، وكان يقول: لقد بغّض إلينا هؤلاء المسجد، وكانت حلقة إلى جانب حلقة ابن أبي إسحاق الحضرمي(8). ولا غرابة في ذلك فإن سيبويه تلقى كتابه وألقاه في المسجد فقد جاء في نزهة الألباء عن ابن عائشة أنه قال: " كنا نجلس مع سيبويه النحوي في المسجد، وكان شاباً جميلاً نظيفاً، قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب في كل أدب بسهم، مع حداثة سنة وبراعته في النحو؛ فبينما نحن ذات يوم إذ هبت ريح فأطارت الورق، فقال لبعض أهل الحلقة: انظر أي ريح هي؟ وكان على منارة المسجد تمثال فرس، فنظر ثم عاد فقال: ما ثبتت على شيء، فقال سيبويه: العرب تقول في مثل هذا: "قد تذاءبت الريح" وتذاءبت الريح، أي فعلت فعل الذئب؛ وذلك أنه يجيء من هاهنا وههنا، ليخيل، فيتوهم الناظر أنه عدة ذئاب"(9).

بل مما يدل على توافر الحلقات اللغوية في المسجد أن الرجل من المسلمين قد يكون من العامة التي لا يؤبه له، واضطرته المعيشة لأن يكون ملازماً للمسجد قيماً عليه، فمن توارد الحلقات اللغوية في المسجد تتولد عنده الهمة فتصير عزيمة، لتصبح بعدها نجماً في العربية،

(8) ينظر: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1982م. (ج2/ص106)

(9) ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م (ص55)

ومن ذلك: ما حدث مع أبي تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر؛ فإنه شامي الأصل، وكان بمصر في حادثته يسقي الماء في المسجد الجامع، ثم جالس الأدباء، فأخذ عنهم وتعلم، وكان فطناً فهماً، وكان يحب الشعر، فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر وأجاده، وسار شعره، وشاع ذكره، وهو من هو!! (10).

هذا عن النحو والأدب وكذلك كان تدريس مفردات اللغة فقد ترجم صاحب معجم الأدباء علي بن محمد الأخفش النحوي، قال: "لم أجد ذكره إلا على «كتاب الفصيح» بخط علي بن عبد الله بن أخي الشبيه العلوي ما صورته: حذق علي هذا الكتاب وهو كتاب الفصيح أبو القاسم سليمان بن المبارك الخاصة الشرفي - أدام الله أيامه - من أوله إلى آخره قراءة فهم وتصحيح، وقرأت أنا على علي بن عميرة، رحمه الله، في محلة باب البصرة ببغداد عند المسجد الجامع الكبير، وقرأ هو علي أبي بكر ابن مقسم النحوي عن أبي العباس ثعلب رحمه الله، وكتب علي بن محمد الأخفش النحوي سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة عربية" (11).

وبهذا نالت العربية في الحلقات المسجدية حظوة كبيرة جدا نتج عنها هذا العلم الجرم، الذي يعجز أحدنا اليوم عن يستوعب ثلثه، والثلث منه كثير، هذا كله بعطاءات المسجد الذي تهياً فيه الجو التطوعي للعلماء وللطلبة العلم إفادة واستفادة.

4 - أنماه تعليم اللغة العربية في المساجد:

عرفنا أنه كان للمسجد دور كبير في تدريس العلوم العربية بمختلف فنونها، نحو وصرف والاشتقاق والبلاغة والشعر وغيرها، وكان هذا التدريس يجري بطرق متنوعة متعددة، كما تقن القدماء في طريق تدريس العربية وتعليمها، وأهم هذه الطرق في تعليم العربية :

أ - الأمالي : وهي أن يتصدر الشيخ المجلس، ويبدأ في إلقاء بعض المسائل المشكلة في تعليم العربية، والطلاب يكتبون م يمليه الشيخ عليهم، وكان هذا الأمر دأب كثير منهم، فهذا أبو بكر بن الأنباري، جاء في ترجمته أنه "كان يُكْتَب عنه وأبوه حي، وكان يُملي في ناحية المسجد وأبوه

(10) ينظر : المرجع نفسه (ص123)

(11) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م (ج5، ص1958).

في ناحية أخرى" (12). وحدث الخالع قال حدثني أبو الحسين الناشيء قال: كنت بالكوفة في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وأنا ألمي شعري في المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عني، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم، وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي، فأملت القصيدة التي أولها:

بآل محمد عرف الصواب ... وفي أبياتهم نزل الكتاب (13)

فكانت بعض الكتب تحمل هذا العنوان: الأمالي كالأمالي لأبي علي القالي، والأمالي لابن الشجري، والأمالي للمرتضي الزبيدي ... الخ.

ب- السؤال والجواب: وهذه الطريقة يتصدر فيها الشيخ المجلس، ثم يفسح المجال فيها للطلبة ليسألوه عن مسائل العربية، والأمثلة على هذا النوع من التدريس كثير جدا، قد كانت جل دروس المتقدمين قائمة على السؤال والجواب، حتى وإن كانت الطريقة المنتهجة قراءة كتاب أو إملاء أو دراسة كتاب.

من هذا النوع ما روي عن كيسان بن المَعْرَفِ النَّحْوِيِّ فيها طرفة، فقد كان مزاحا قرأ عَلَيْهِ صبي، فمر ببيت فيه العيس، فَقَالَ: هُوَ الْإِبِلُ [الْبَيْضُ الَّتِي يَخْلُطُ بِيَاضِهَا حَمْرَةً] ، فَقَالَ: مَا الْإِبِلُ؟ قَالَ: الْجَمَالُ، قَالَ: وَمَا الْجَمَالُ؟ فَقَامَ عَلَى أَرْبَعٍ وَرَغَا فِي الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: الَّذِي تَرَاهُ طَوِيلَ الرَّقَبَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: بوع(14).

ما حدث أيضا سهل بن مُحَمَّد بن عُثْمَانَ بن الْقَاسِمِ أَبُو حَاتِمِ السَّجِسْتَانِيِّ، فيها أيضا طرفة، قيل: دخل بَغْدَادَ، فَسُئِلَ. عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {قُوا أَنْفُسَكُمْ} ، مَا يُقَالُ مِنْهُ لِلْوَاحِدِ؟ فَقَالَ: ق، فَقَالَ: فَلَائِثِينَ؟ فَقَالَ: قِيا، قَالَ: فَالْجَمْعُ؟ قَالَ: قِوا، قَالَ: فَالْجَمْعُ لِي الثَّلَاثَةُ، قَالَ: ق، قِيا، قِوا. قَالَ: وَفِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ رَجُلٌ جَالِسٌ مَعَهُ قِمَاشٌ، فَقَالَ لَوَاحِدٍ: احْتَفِظْ بِثِيَابِي حَتَّى أَجِيءَ، وَمَضَى إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ، وَقَالَ: إِنِّي ظَفَرْتُ بِقَوْمٍ زَنَادِقَةٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ عَلَى صِيَاحِ الدِّيكِ، فَمَا شَعَرْنَا

(12) ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأديباء، المحقق: إبراهيم السامرائي، (ص 197).

(13) ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، معجم الأديباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، المحقق: إحسان عباس، (ج4، ص 1788).

(14) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، دط ، دت، (ج2، ص 268).

حَتَّى هَجَم عَلَيْنَا الْأَعْوَان وَالشَّرْطَةَ، فَأَخَذُونَا وَأَحْضَرُونَا مَجْلِسَ صَاحِبِ الشَّرْطَةِ، فَسَأَلْنَا فَتَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَأَعْلَمْتَهُ بِالْخَبْرِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، يَنْظُرُونَ مَا يَكُونُ، فَعَنْفَنِي وَعَذَلَنِي، وَقَالَ: مَثَلُكَ يُطَلَّقُ لِسَانَهُ عِنْدَ الْعَامَّةِ بِمِثْلِ هَذَا! وَعَمَدَ إِلَيَّ أَصْحَابِي فَضْرِبُهُمْ عَشْرَةَ عَشْرَةَ، وَقَالَ: لَا تَعُودُوا إِلَيَّ مِثْلَ هَذَا، فَعَادَ أَبُو حَاتِمٍ إِلَيَّ النَّبْصَرَةَ سَرِيعًا، وَلَمْ يَقَمْ بَعْدَادَ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَنْهُ أَهْلُهَا (15).

وهذه الحادثة كما أنها تدل على طريقة من طرق تعليم العربية في الحلقات المسجد فإنها تدل أيضا على أن المسجد هو المكان الذي كن يقصده العلماء وطلاب العلم في رحلاتهم العلمية.

ج - تدريس الكتب: يجلس الشيخ ويلتف حوله الطلاب ليدرسوا كتابا ما في العربية، سواء أكان الكتاب ممن كتبه الشيخ نفسه أو كتبه غيره، وهذه أيضا كانت من الطرق التي شاعت خاصة بعد أن كتب أبو عبيدة معمر بن المثنى كتابه "مجاز القرآن" أي ظهور المؤلفات. جاء في معجم الأدباء عن ابن حبان أنه قال: وجمع أبو العلاء للمنصور أبي عامر كتابا سماه «الفصوص في الآداب والأشعار» على حكم «كتاب النوادر» لأبي علي القالي فأثابه عليه خمسة آلاف دينار في دفعة واحدة، وأمر أن يسمعه الناس في المسجد الجامع بالزاهرة، واحتشد له جماعة من أهل الأدب ووجوه الناس بسماعه في سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (16).

د - حفظ متون في العربية وشرحها: هذه الطريقة تتمثل في كتابة مختصر من المختصرات في فن من فنون العربية سواء أكان نظما أو نثرا، فيؤمر الطلاب بحفظه ثم يباشر الشيخ شرحه للطلاب، وكانت هذه الطريقة في أول أمرها تمارس على الكتب، يوم أن كانت العقول العربية صافية لاستيعاب العلوم، أما بعد بدأ الضعف يدب لهذه العقول، فجاءت هذه المتون (النظمية والنثرية) ، وهي الطريقة التي صارت تسلك اليوم أكثر من غيرها في المساجد أو المدارس القرآنية، ولهذا إذا نظرنا في المنهاج التدريسي للأزهر أو الزيتونة أو القرويين فإنها تعتمد على هذه الطريقة اعتمادا كليا.

هـ - المناظرة بين علماء اللغة: من الطرق التي اتبع عند العلماء في الدرس اللغوي المسجدي، لكن كانت تحدث على استحياء أو على سبيل المصادفة بين أهل العلم، وهذا على نحو ما نقله الحموي قال: "حدث أبو حاتم السجستاني قال: دخلت على الأصمعي في مرضه الذي مات فيه

(15) ينظر: المرجع نفسه (ج1، ص606).

(16) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، معجم الأدباء (إرشاد

الأريب إلى معرفة الأديب)، المحقق: إحسان عباس، (ج4/ص1440)

فسألته عن خبره، ... فقلت له: في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه، قال: سل، فقلت: حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه من المناظرة، فقال: والله لولا أنني لا أرجو الحياة من مرضتي هذه ما حدثتك: إنه عرض عليّ شيء من الأبيات التي وضعها سيبويه في كتابه، ففسرتها على خلاف ما فسره، فبلغ ذلك سيبويه، فبلغني أنه قال: لا ناظرته إلا في المسجد الجامع، فصليت يوماً في الجامع ثم خرجت فتلقاني في المسجد فقال لي: اجلس يا أبا سعيد، ما الذي أنكرت من بيت كذا وبيت كذا، ولم فسرت على خلاف ما يجب؟ فقلت له: ما فسرت إلا على ما يجب، والذي فسرتة أنت ووضعتة خطأ، تسألني وأجيب. ورفعت صوتي فسمع العامة فصاحتني ونظروا إلى لكنته، فقالوا: غلب الأصمعيّ سيبويه، فسّرني ذلك فقال لي: إذا علمت أنت يا أصمعيّ ما نزل بك مني لم ألتفت إلى قول هؤلاء، ونفض يده في وجهي ومضى. ثم قال الأصمعي: يا بنيّ فو الله لقد نزل بي منه شيء وددت أني لم أتكلم في شيء من العلم(17).

5- رؤية استشرافية للتصوم اللغوي في المساجد:

بعد أن رينا الدور الريادي للمسجد في مجال تعليم اللغة ودراستها في القديم وفي الحديث في أماكن عدة من البلدان العربية وأكثر ذلك كان تطوعاً دون مقابل مادي، فإنه نرى من اللائق جداً أن نحاول إعادة بعث وإحياء ذلك الدور في زماننا هذا، وفي بلدنا هذا خاصة، الذي أنهكه الاستعمار، وأكثر ما أنهك الجانب اللغوي فيه، فقد جعله يعيش شتاتاً لغوياً، واضطراباً تواصلياً، خاصة على المستوى الرسمي.

إن للعمل التطوعي في الحلق المسجدية أهمية كبيرة من جهة أنه يهيئ الجو المناسب لتعلم اللغة وتعليمها، وذلك لأسباب مهمة:

- 1 - إن المقبل على المساجد تجد عنده من الإقبال والإخبارات على تعلم أمور دينه ما لا تجده عند غيره، وتعلم اللغة سواء بحفظ النصوص الشرعية وفهم ألفاظها التي تنمي الرصيد اللغوي عند المتعلم، أو تعلم قواعدها لفهم الأحكام الشرعية التي تكسب المتعلم فقها لأساليب اللغة، سواء بهذه أو تلك فإنها؛ أي تعلم اللغة من أمور الدين التي يلزم على المرء تحصيلها.
- 2- هناك نوع من السلطة المعنوية على المتعلم، لأنك تربطه بمراقبة الله -جلّ وعلا-، والعمل لمرضاة الله، فهذا يجده أدعى للاستمرار والمواظبة على الدروس ومتابعتها.

(17) المرجع نفسه (5/2128).

3- ليست الدراسة في المسجد دراسة نظرية يُقصد منها مجرد العلم والمعرفة، وإنما هي دراسة يقصد منها العمل أولاً، سواء على مستوى العلوم الغاية (كالأحكام الفقهية) أو العلوم الوسيلة وهذا كاللغة العربية، فهو إنما يتعلم العربية كلاماً وقواعد، لتوظيفها والعمل بها فيما يجب عليه. وأما غير المساجد فقد لا يستحضر المتعلم هذه المقاصد مما يؤدي به إلى الفتور أو تضييع ما تعلمه

وأمام هذه الأسباب وغيرها مما يحسّ به كل مسلم متعلق بالمسجد، فإنني أهيب بدور الحلق المسجدية في صناعة تطوع لغوي ناجح مبارك وذلك بأخذ ببعض هذه الاقتراحات:

1 - وضع خطة لاستقطاب جميع العلماء وطلاب العلم والقضاة ونحوهم من المؤهلين، للتدريس في المساجد أو القيام بسائر الأنشطة المناسبة لتعليم اللغة في المدن والقرى والأرياف والبادية، ويقوم بتنفيذها لجان محلية تتكون من المشايخ وطلاب العلم والأئمة والخطباء (18)، وهذا الأمر بالنسبة لبلدنا الجزائر متوفر فما على السلطات إلا الأخذ برأي الجهات المختصة (أقسام اللغة العربية) في اقتراح بعض الأساتذة للتدريس في المساجد.

فلا أدري لماذا لا نفكر في استثمار الطاقات اللغوية المختصة: من أساتذة ودكاترة ودعوتها للمساجد، فقد لا يبادر بنفسه لكن إن تمت دعوته فإنه يقبل على ذلك، ويكون هذا من استغلال الطاقات في التطوع اللغوي. ويتبع هذا الأمر الآتي:

2 - وضع برنامج لزيارة المشايخ الكبار وطلاب العلم للمناطق المحتاجة بشكل دوري منتظم وبالتناوب. تتفاوت مددها من عدة أشهر إلى أسبوع أو يوم في الشهر أو يوم في الأسبوع. والاستمرار في ذلك بمتابعة قوية وجادة، فإن هذا يسهم وبدرجة كبيرة في إنكاء الحس اللغوي عند الطبقات المهمشة في البلاد، خاصة أصحاب الأرياف والقرى الذين لم يدخلوا المدارس أو الذين انقطعت بهم السبل عن مواصلة الدراسة، وكذا أولئك الذين نشأوا في المناطق التي تتكلم اللهجات المازيغية، فإن التجارب المعاشة أثبتت قوة إقبالهم على تعلم العربية وعلى بروز في ذلك.

3- وضع برنامج تعليمي للغة العربية (متن اللغة، إملاء، صرف، نحو، إنشاء، أدب، تاريخ الأدب) في مستويات متوالية يخدم بعضها بعضاً (مستوى 1، مستوى 2، مستوى 3، ...

(18) ينظر: ناصر بن عبد الكريم العقل، أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ (ص 29)

وهكذا) في جميع فنون اللغة، مراعيًا المستوى التعليمي للفئة المستهدفة (أطفال (ابتدائي، متوسط ثانوي ..)، كبار السن، محو الأمية، عامة الناس، ...) وهذه طائفة من الكتب مختارة تصلح للتدريس:

ملاحظة هامة	مستوى 4 ...	مستوى 3	مستوى 2	مستوى 1		
<p>يتحرى المدرس الذي يتولى التطوع في فن من هذه الفنون اللغوية اختيار الكتب التي تعنى بربط المادة اللغوية بنصوص القرآن والسنة تحليلًا وتطبيقًا، لأن في هذا ربطًا للمتعلم بالأمور التعبدية، فيشتد إقباله على ذلك</p>		العناية بكتب غريب القرآن والسنة	مختار الصحاح للرازي	كتاب الفصح لثعلب أو نظمه	متن اللغة	
			كتاب الإملاء، لعبد السلام هارون.	كتاب الإملاء لحسين والي	إملاء	
			التطبيق الصرفي لعبد الراجي	شذا العرف في فن الصرف للحملاوي	صرف	
			التطبيق النحوي لعبد الراجي أو النحو الواضح لعلي الجارم ومصطفى أمين	الأجرومية مع شرحها التحفة السنية لمحمج محي الدين	نحو	
		وكتب الأدب بعد هذا كثيرة ومتنوعة منها يأتي على شكل دواوين ومنها ما يكون على شكل قصص وحكم وحوادث: كالأدب الصغير والكبير لابن المقفع، وكالحيوان للجاحظ ... وغيرها		القراء ة في ديوان المتني وشرحه	القصائد التي مدح بها النبي ﷺ كقصائد حسان بن ثابت، وغيرها	أدب
			أدب الكاتب لابن قتيبة	الألفاظ الكتابية للهمداني	إنشاء	
			جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي أو البلاغة الواضحة علي الجارم ومصطفى أمين	دروس في البلاغة لمصطفى أمين وعلي الجارم	البلاغة	
			تاريخ الأدب لمصطفى صادق الرافعي	تاريخ الأدب للزيات	تاريخ الأدب	

فهذه إذن بعض الكتب المفيدة التي تصلح أن تكون دروساً تطوعية في المسجد، على أن يُختار غيرها إن رأى المتطوع غيرها أصلح للمستوى الذي هو معه، لأن ذلك يجعل المتطوع له أشدَّ إقبالاً على التعلم.

4- نلفت النظر إلى أن الفنون العربية في نفسها متفاوتة الأهمية، فالذي يهتم المتطوع له، هو الذي يكون له التأثير الكبير في نفسه ويساعد على الإقبال عليه. ولهذا فأمس هذه العلوم حاجة للمتطوع له:

1- معالجة الأدب نصوصاً نظرية وشعرية، خاصة ما له تعلق بالقرآن الكريم كمدايح حسان بن ثابت لرسول الله صلي الله عليه وسلم، والشعر الذي قاله الصحابة ﷺ، أو الذي له تعلق بالمناسبات الشرعية، وكديوان الشافعي، كتب شرح الأمثال والحكم... وغيرها.

2- متن اللغة وذلك من خلال التركيز على غريب القرآن الكريم، وغريب السنة النبوية، ثم كتب اللغة التي لها تعلق بالأحكام الفقهية كالصاحح للرازي.

3- تدريس مادة النحو: لأنها تعين على فهم البنية الأساسية للغة العربية بما يسهل اكتسابها وتعلمها، وانتقاء الأمثلة القرآنية الميسرة لربط المتعلم بالقرآن وبالجو العام الذي هو فيه (المسجد).

5- تحمل الجهات الخادمة للغة العربية (كالمجلس الأعلى للغة العربية و مجمع اللغة العربية) وضع برامج تعليمية للغة العربية في المساجد، والإشراف على ذلك من خلال عملية إحصاء المتطوعين الذين يقومون بها العمل، ثم الاتفاق مع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف على منحهم الإذن في النشاط داخل المساجد، وبهذا نضمن تنظيم العمل التطوعي استمراره.

6 - وضع دورات مستمرة للأئمة والخطباء في الجوانب اللغوية المختلفة (في متن اللغة- في التصحيح اللغوي والأسلوبي- في تقنيات الإلقاء والخطابة) كل ذلك للارتقاء بمستواهم اللغوي، لتكون عند المصلي الإحساس بجمال اللغة وعذوبتها وسلاستها.

6- خاتمة:

بعد هذا الذي قدمنا، فإننا نخلص إلى ما يأتي:

1 - التطوع اللغوي في زمننا هذا ضرورة ملحة جداً، لما يعانيه المستوى اللغوي للمجتمع الجزائري من ضعف في التلقي، ونظر إلى أن الحجم الرسمي للتدريس لا يكفي، ثم إن ما يعانيه

الإعلام بصفة عامة من ضعف، مما يعني انعدام التعليم اللغوي إلا في المدارس وهو غير كاف.

2- البيئة الخصبة، والمكان الأنسب للتطوع اللغوي هو المسجد، فإن التاريخ قد أثبت نجاعة ذلك، وحقق النتائج المرجوة، فعلى الجهات المسؤولة كلها التعاون والتكاتف لاستعادة الدور الريادي للمسجد في ذلك، فالهيئات الرسمية (الدولة) عليها تقديم التراخيص، وعلى الجهات الوصية بالغة العربية المطالبة بذلك، وتكوين المعلمين والمتطوعين، وعلى الباقي الاستجابة لتعلم اللغة العربية .

نسأل الله التوفيق لنا وللجميع، فهو وحده ولي ذلك والقادر عليه.

قائمة المراجع:

- 1- الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري)، (المتوفى: 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المحقق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م.
- 2- ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني الحنبلي الدمشقي) (المتوفى: 728هـ)، الفتاوى الكبرى، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م
- 3- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، (المتوفى: 911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، دط، دت،
- 4- صالح بن غانم بن عبد الله بن سليمان بن علي السدلان، الأثر التربوي للمسجد، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات
- 5- صالح بن ناصر بن صالح الخزيم (المتوفى: 1418هـ)، وظيفة المسجد في المجتمع، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ.
- 6- القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف) (المتوفى: 646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1982م.
- 7- ناصر بن عبد الكريم العقل، أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ

8- ابن ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي) (المتوفى: 626هـ)، معجم الأدياء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م